

قصيدة

المواكب

جبران خليل جبران

المواكب

الخيرُ في الناس مصنوعٌ إذا جبروا

والشرُّ في الناس لا يفنى وإن قُبروا

وأكثرُ الناس آلاتٌ تُحركها

أصابُ الدهر يوماً ثم تتكسرُ

فلا تقولنَّ هذا عالمٌ علمٌ

ولا تقولنَّ ذاك السيدُ الوقرُ

فأفضلُ الناس قطعانٌ يسير بها

صوتُ الرعاةِ ومن لم يمش يندثرُ



ليس في الغابات راع

لا ولا فيها القطيع

فالشيتا يمشي ولكن

لا يجاربه الربيع

خلق الناس عبداً

للذي يأبى الخضوع

فإذا ما هبّ يوماً

سائراً سار الجميع

أعطني الناي وغنّ

فالغنا يرعى العقول

وأنينُ الناي أبقي

من مجيدٍ وذليل



وما الحياة سوى نوم تراوده

أحلام من بهراد النفس ياتمر

والسر في النفس حزن النفس يستره

فإن تولى فبالأفراح يستتر

والسر في العيش رغد العيش يحجبه

فإن أزيل تولى حجه الكدر

فإن ترفعت عن رغد وعن كدر

جاورت ظل الذي حارت به الفكر



ليس في الغابات حزنٌ

لا ولا فيها الهمومُ

فإذا هبَّ نسيمٌ

لم تجيء معه السمومُ

ليس حزنُ النفس إلا

ظل وهُم لا يدومُ

وغيومُ النفس تبدو

من تناياها النجومُ

أعطني الناي وغنُ

فالغنا يمحو المحنُ

وأنتِ الناي يبقَى

بعد أن يفتنى الزمنُ



وقلّ في الأرض من يرضى الحياة كما

تأتيه عفواً ولم يحكم به الضجرُ

لذاك قد حوّلوا نهر الحياة إلى

أكواب وهم إذا طافوا بها خدروا

فالناس إن شربوا سُروا كأنهم

رهن الهوى وعلى التخدير قد فُطروا

فذا يُعريّدُ إن صلى وذاك إذا

أثرى وذلك بالأحلام يغمُرُ

فالأرض خمارةٌ والدهرُ صاحبها

وليس يرضى بها غير الألى سكرُوا

فإن رأيت أخا صحو فقل عَجَباً!

هل استظل بغييم ممطر قمرُ؟



ليس في الغابات سكرٌ

فالسواقي ليس فيها

إنما التخديرُ ثديٌّ

فإذا شاخوا وماتوا

أعطني الناي وغنّ

وأنينُ الناي يبقى

من مدام أو خيالٌ

غير إكسير الغمام

وحليبٌ للأنعام

بلغوا سن الفطام

فالقنا خيرُ الشراب

بعد أن تفتى الهضاب



والدينُ في الناس حقلٌ ليس يزرعهُ

غيرُ الألى لهمُ في زرعهِ وطرُ

من أمل بنعيم الخلد مبتشر

ومن جهول يخافُ النارَ تستعرُ

فالقومُ لولا عقابُ البعثِ ما عبدوا

رباً ولولا الثواب المرتجى كفرُوا

كأنما الدينُ ضربٌ من متاجرهم

إن واطبوا ربحوا أو أهملوا خسروا



ليس في الغابات دينٌ

فإذا البلبُلُ غنَّى

إنَّ دينَ الناسِ يأتِي

لم يَقم في الأرض دينٌ

أعطني الناي وغنِّ

وأنينُ الناي يبقِي

لا ولا الكفرُ القبيحُ

لم يقل هذا الصحيحُ

مثلَ ظُلٍّ ويروحُ

بعد طه والمسيحُ

فالغنا خيرُ الصلاة

بعد أن تَفنى الحياةُ



والعدلُ في الأرض يبكي الجنُّ لو سمعوا

به ويستضحكُ الأموات لو نظروا

فالسجنُ والموتُ للجانيْن إن صغروا

والمجدُ والفخرُ والإثراء إن كبروا

فسارقُ الزهر مذمومٌ ومحتقرٌ

وسارقُ الحقل يُدعى الباسلُ الخطرُ

وقاتلُ الجسم مقتولٌ بفعلة

وقاتلُ الروح لا تدري به البشرُ



ليس في الغابات عدلٌ

فإذا الصفصافُ ألقى

لا يقولُ السرو هذي

إن عدلَ الناس ثلجٌ

أعطني الناي وغنّ

وأنينُ الناي يبقَى

لا ولا فيها العقابُ

ظله فوق الترابُ

بدعةٌ ضدّ الكتابُ

إن رأتَهُ الشمسُ ذابُ

فالغنا عدلُ القلوبُ

بعد أن تقنَى الذنوبُ



والحق للعزم، والأرواحُ إن قويتْ

سادتْ وإنْ ضعفتْ حلتْ بها الغيرُ

ففي العرينة ریحٌ ليس يقربه

بنو الثعالب غاب الأسدُ أم حضروا

وفي الزارازير جبنٌ وهي طائفة

وفي البزاة شموخٌ وهي تحتضرُ

والعزمُ في الروح حقٌ ليس ينكره

عزمُ السواعد شاء الناس أم نكروا

فإن رأيتَ ضعيفاً سائداً فعلى

قومٍ إذا ما رأوا أشباههم نفروا



ليس في الغابات عزمٌ

فإذا ما الأسدُ صاحَ

إنَّ عزمَ الناسِ ظلَّ

وحقوقُ الناسِ تبلى

أعطني النايَ وغنَّ

وأنينُ النايِ يبقى

لا ولا فيها الضعيفُ

لم تقلْ هذا المخيفُ

في فضا الفكرِ يطوفُ

مثل أوراقِ الخريفِ

فالغنا عزمُ النفوسِ

بعد أن تفتنى الشـموسُ



والعلمُ في الناس سبيلٌ بان أولها

أما أواخرها فاندهرُ والقدرُ

وأفضلُ العلمِ حلمٌ إن ظفرتَ به

وسرتَ ما بينَ أبناء الكرى سَخروا

فإن رأيتَ أخا الأحلام منفرداً

عن قومه وهو منبوذٌ ومحتقرُ

فهو النبيُّ وبردُ الغدِّ يحجبه

عن أمةٍ برداء الأمس تَأْتِزُ

وهو الغريبُ عن الدنيا وساكنها

وهو المجاهرُ لأمِّ الناسُ أو عذروا

وهو الشديدُ وإن أبدى ملاينةً

وهو البعيدُ تدانى الناسُ أم هجروا



ليس في الغابات علمٌ

فإذا الأغصان مالتُ

إنَّ علمَ الناس طرأ

فإذا الشمسُ أطلتُ

أعطني النايَ وغنَّ

وأنينُ الناي يبقَى

لا ولا فيها الجـهولُ

لم تقلْ هذا الجليلُ

كضباب في الحقولُ

من ورا الأفق يزولُ

فالغنا خيرُ العلومُ

بعد أن تطفأ النجومُ



والحرُّ في الأرض بيني من منازعه

سجناً له وهو لا يدري فيؤتسرُ

فإن تحرر من أبناء بجدته

يظلّ عبداً لمن يهوى ويفتكِرُ

فهو الأريبُ ولكن في تصليه

حتى وللحقّ بطلٌ بل هو البطرُ

وهو الطليقُ ولكن في تسرعه

حتى إلى أوج مجدر خالدر صفرُ



ليس في الغابات حرٌّ

إنما الأمجادُ سَخَفٌ

فإذا ما اللوزُ ألقى

لم يقل هذا حقيرٌ

أعطني النايَ وغنِّ

وأنينُ الناي أبقي

لا ولا العبد الذميرُ

وفقاً قيعُ تعومُ

زهرة فوق الهشيمِ

وأنا المولى الكريمُ

فالفنا مجدٌ أثيلُ

من زنيـم وجليلُ



واللطفُ في الناس أصدافُ وإن نعمت

أضلاعها لم تكن في جوفها الدررُ

فمن خبيثٍ له نفسان: واحدة

من العجين وأخرى دونها الحجرُ

ومن خفيفٍ ومن مستأنثٍ خنثٍ

تكادُ تدمي ثيابا ثوبه الإبرُ

واللطفُ للتذل درعٌ يستجيرُ به

إن راعه وجلُّ أو هاله الخطرُ

فإن لقيت قويا ليناً فيه

لأعين فقدت أبصارها البصرُ



ليس في الغاب لطيفٌ

فقصونُ البان تعلو

وإذا الطاووس أعطي

فهو لا يدري أحسنُّ

أعطني النايَ وغنِّ

وأنينُ الناس أبقى

لينه لينُ الجبانُ

في جوار السنديانُ

حلهُ كالأرجوانُ

فيه أم فيه افتتانُ

فالغنا لطفُ الوديعة

من ضعيفٍ وضيع



والظرفُ في الناس تمويهٌ وأبغضُهُ

ظرفُ الألى في فنون الاقتدا مهروا

من معجبٍ بأمورٍ وهو يجهلها

وليس فيها له نفعٌ ولا ضررُ

ومن عتي يري في نفسه ملكاً

في صوتها نغمٌ في لفظها سورُ

ومن شموخ غدت مرآته فلكاً

وظالته قمرأ يزهو ويزدهرُ



ليس في الغاب ظريفُ

فالضبا وهي عليلُ

إنَّ بالأنهار طعماً

وبها هول وعزمُ

أعطني النايَ وغنَّ

وأنينُ الناي أبقي

ظرفه ضعف الضئيلُ

ما بها سقمُ العليلُ

مثل طعم السلسبيل

يجرف الصلْدَ الثقيلُ

فالغنا ظرفُ الظريفُ

من رقيق وكثيفُ



والحبُّ في الناس أشكَّالٌ وأكثرها

كالعشبِ في الحقل لا زهرٌ ولا ثمرٌ

وأكثرُ الحبِّ مثلُ الراجِ أيسره

يرضي وأكثره للمدمنِ الخطرُ

والحبُّ إن قادت الأجسامُ موكبه

إلى فراشٍ من الأغراضِ ينتحرُ

كأنه ملكٌ في الأسرِ معتقلٌ

يأبى الحياةَ وأعوانٌ له غدروا



ليس في الغابِ خليعٌ

يدعي نبلُ الغرامِ

فإذا الثيرانُ خارتُ

لم تقلْ هذا الهيامُ

إنَّ حبَّ الناسِ داءٌ

بين لحمٍ وعظامِ

فإذا ولى شبابُ

يختفي ذاك السقامُ

أعطني النايَ وغنِّ

فالغنا حبُّ صحيحُ

وأنينُ النايِ أبقي

من جميلٍ ومليحُ



فإن لقيتَ محباً هائماً كلفاً

في جوعه شبع في ورده الصدرُ

والناسُ قالوا هو المجنونُ ماذا عسى

يبغي من الحب أو يرجو فيصطبرُ؟

أفي هوى تلك يستدمي محاجرهُ

وليس في تلك ما يحلو ويعتبرُ!

فقلْ همُ اليهمُ ماتوا قبلما ولدوا

أئني دروا كُنْه من يحيي وما اختبروا



ليس في الغابات عدلٌ

فإذا الغزلانُ جنتُ

لا يقولُ النسْرُ واهاً

إنما العاقلُ يدعى

أعطني النايَ وغنّ

وأنينُ النايِ أبقي



لا ولا فيها الرقيبُ

إذ ترى وجهه المغيّبُ

إنّ ذا شيءٍ عجيبُ

عندنا الأمرُ الغريبُ

فالغنا خيرُ الجنونِ

من حصيفٍ ورصينِ

وقلُ نسينا فخارَ الفاتحين وما

تنسى المجانين حتى يغمرَ الغمرُ

قد كان في قلب ذي القرنين مجزرةٌ

وفي حشاشة قيس هيكُلٌ وقرُ

ففي انتصاراتِ هذا غلبةٌ خفيتُ

وفي انكساراتِ هذا الفوزُ والظفرُ

والحبُّ في الروح لا في الجسم نعرفهُ

كالخمر للوحي لا للسكر والظفرُ



ليس في الغابات ذكرٌ

غير ذكر العاشقين

فالألى سادوا ومادوا

وطغوا بالعالمين

أصبحوا مثل حروفٍ

في أسامي المجرمين

فالهوى الفضاح يدعى

عندنا الفتح المبين

أعطني الناي وغنّ

وانسَ ظلم الأقوياء

إنما الزنبقُ كأسٌ

للتدى لا للدماء



وما السعادةُ في الدنيا سوى شبح

يُرجى فإن صار جسماً ملّه البشرُ

كالنهر يركضُ نحو السهل مكتدحاً

حتى إذا جاءه يبطي ويعتكُرُ

لم يسعد الناسُ إلا في تشوقهمُ

إلى المنيع فإن صاروا به فتروا

فإن لقيت سعيداً وهو منصرفٌ

عن المنيع فقل في خلقه العبرُ



ليس في الغاب رجاءٌ

لا ولا فيه المثلُ

كيف يرجو الغابُ جزءاً

وعلى الكلّ حصلُ؟

وبما السعيُّ بغاب

أماً وهو الأملُ؟

إنما العيشُ رجاءٌ

إحدى هاتيك العللُ

أعطني النايَ وغنّ

فالغنا نارٌ ونورُ

وأنينُ النايِ شوقٌ

لا يدانيه الفتورُ



وغاية الروح طيُّ الروح قد خفيتُ

فلا المظاهرُ تبديها ولا الصورُ

فذا يقولُ هي الأرواحُ إن بلغتُ

حدَّ الكمالِ تلاشتُ وانقضى الخبرُ

كأنما هي أثمارُ إذا نضجتُ

ومرت الريحُ يوماً عافها الشجرُ

وإذ يقولُ هي الأجسامُ إن هجعتُ

لم يبقَ في الروحِ تهويمٌ ولا سمرُ

كأنما هي ظلٌّ في الغديرِ إذا

تعكّرَ الماءُ ولّتْ وامحى الأثرُ

ظلُّ الجميعِ فلا الذراتُ في جسدي

تثوى ولا هي في الأرواحِ تحتضرُ

فما طوتُ شمألٌ أذيالَ عاقلةٍ

إلا ومربها الشرقي فتتشرُّ



لم أجد في الغاب فرقاً

بين نفس وجسد

فألهوا ماءً تهادي

والندي ماءً ركدي

والشذا زهرٌ تمادي

والثرى زهرٌ جمدي

وظلالُ الحور حورٌ

ظنٌ ليلاً فرقدي

أعطني النايَ وغنّ

فالفننا جسمٌ وروحٌ

وأنينُ الناي أبقي

من عبوقٍ وصبوحٍ



والجسمُ للروح رحمٌ تستكنُّ به

حتى البلوغ فتستعلي وينغمرُ

فهي الجنينُ وما يومُ الحمامِ سوى

عهدُ المخاض فلا سقطٌ ولا عسرُ

لكن في الناس أشباحاً يلازمها

عقمُ القسيّ التي ما شدها وترُ

فهي الدخيلةُ والأرواحُ ما ولدتُ

من القفيل ولم يحبل بها المدرُ

وكم على الأرض من نبتٍ بلا أرج

وكم علا الأفق غيمٌ ما به مطرُ



ليس في الغاب عقيم

لا ولا فيها الدخيل

إن في التمر نواة

حفظت سر النخيل

وبقرص الشهد رمز

عن قفير وحقول

إنما العاقر لفظ

صيغ من معنى الخمول

أعطني الناي وغن

فالغنا جسم يسيل

وأنين الناي أبقى

من مسوخ ونفول



والموتُ في الأرض لابن الأرض خاتمةُ

وللأثيريِّ فهو البدءُ والظفرُ

فمن يعانق في أحلامه سحراً

يبقَ ومن نامَ كلَّ الليل يندثرُ

ومن يلزم ترباً حال يقظته

يعانق التراب حتى تخمد الزهرُ

فالموتُ كالبحر، من خفتْ عناصره

يجتازه، وأخو الأثقال ينحدرُ



ليس في الغابات موتٌ

لا ولا فيها القبورُ

فإذا نيسانٌ وألى

لم يمت معه السرورُ

إن هولَ الموتِ وهمٌ

ينتهي طيَّ الصدورُ

فألذي عاش ربيعاً

كالذي عاش الدهورُ

أعطني النايَ وغنّ

فأغنا سرُّ الخلودُ

وأننِ النايَ يبقَى

بعد أن يفنى الوجودُ

أعطني النايَ وغنّ

وانسُ ما قلتُ وقلتَا

إنما النطقُ هباءٌ

فأفدني ما فعلتَا



هل تخذت الغاب مثلي

منزلاً دون القصور

فتتبعث السواقي

وتساقط الصخور

هل تحممت بعطر

وتتشقت بنور

وشربت الفجر خمراً

في كؤوس من أثير

هل جلست العصر مثلي

بين جفئات العنب

والعناقيد تدلت

كثريات الذهب

فهي للصادي عيون

ولمن جاع الطعام

وهي شهد وهي عطر

ولمن شاء المدام

هل فرشت العشب ليلاً

وتلحفت الفضل

زاهداً في ما سيأتي

ناسياً ما قد مضى



وسكوتُ الليل بحرٌ

موجه في سمعك

وبصدر الليل قلبٌ

خافق في مضجعتك

أعطني النايَ وغنّ

وانس داءً ودواء

إنما الناسُ سطورٌ

كتبتُ لـكن بماء

ليت شعري أي نفع

في اجتماع وزحام

وجـدال وضجيج

واحتجاج وخصام؟

كلها أنفاقٌ خلد

وخيوط العنكبوت

فالذي يحيا بعجز

فهو في بطن يموت



العيشُ في الغابِ والأيامُ لو نظمتُ

في قبضتي لغدتُ في الغابِ تنتشرُ

لكن هو الدهرُ في نفسي له أربُ

فكلما رمتُ غاباً قام يعتذرُ

وللتقاديرِ سبيلٌ لا تغيروها

والناسُ في عجزهم عن قصدهم قصرُوا



تنسيق ورفع:

حمزة رابعة